١٤ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

ـ أو قد تنساق كذلك إلى تذكر سيمياس نفسه ؟

فقال ـ هذا حق

ـ وقد يكون التذكر في هذه الحالات جميعاً منبعثاً من أشياء الشيء أو مما يباينه ؟

ـ هذا صحيح

ـ وهناك سؤال لا بد أن ينشأ ، حينما يكون التذكر قد انبعث من شبيه الشيء ، وهو : هل يكون شبيه الشيء المتذكَّر ناقصاً في أي ناحية من نواحيه ، أم لا يكون ؟[1]

فقال : هذا جد صحيح

ـ وهل نتقدم خطوة أخرى ، فنؤكد بأن التساوي موجود فعلاً ، لا تساوي الخشب بالخشب أو الحجر بالحجر ، بل ما هو أسمى من ذلك وأرفع . أنؤكد بأن التساوي موجود في عالم التجريد ؟

فأجاب سيمياس : بلى : أؤكّد ذلك وأقسم على صحته بكل ما وسعت الحياة من يقين

ـ وهل نحن نعلم هذا الكنه المجرد ؟

فقال : لاشك في ذلك

ـ ومن أين جاءنا هذا العلم ؟ ألم نَرَ متساويات من الأشياء المادية ، كقطع الحجر والخشب ، فاستنتجنا منها مثالاً لمساواة تخالفها ؟[2] أفأنت موافق على هذا ؟ أوفانظر مرة أخرى الى الموضوع على هذا النحو : أليست قطع الحجر والخشب بعينها تبدو متساوية حيناً متفاوتة حيناً آخر ؟

ـ لا ريب في هذا

ـ ولكن هل تتفاوت المتساويات الحقيقية أبدا ؟ أم هل يكون مثال التساوي يوماً عدم مساواة ؟

ـ لا شك في أن ذلك شيء لم يُعرف بعد

ـ إذن فهذه المتساويات (كما يسمونها) ليست تطابق مثال التساوي ؟

ـ لابد من القول باسقراط بأنها تخالفه تماماً

ـ ومع ذلك ، فأنت من هذه المتساويات ، قد تصورت مثال التساوي ووصلت إليه ، على الرغم من أنها مخالفة لذلك المثال ؟

ـ فقال : هذا جد صحيح

ـ وقد يكون مثال التساوي شبيها بها . وقد يكون مباينا لها ؟

ـ نعم

ولكن هذا لا يغيّر في الأمر شيئاً ، لما دمت قد تصورت شيئاً من رؤية شيء آخر ، سواء أكانا شبيهين أم متباينين ، فقد حدثت بذلك من غير شك عملية تذكر ؟

ـ جد صحيح

ـ ولكن ماذا عساك أن تقول في قطع متساوية من الخشب والحجر ، أو في غيرها من المتساويات المادية ؟ وأي أثر هي تاركة في نفسك ؟ أهي متساويات بكل ما في التساوي المطلق من معنى ؟ أم أنها تقع في القياس دونه بشيء يسير ؟

فقال : نعم ، بل دونه بمسافة بعيدة جداً

ـ ثم ألا يلزم أن نسلّم بأنني ، أو أي أحد آخر ، حين ينظر إلى شيء فيدرك أنه إنما ينشد أن يكون شيئاً آخر ، ولكنه مقصّر من دونه ، عاجز عن بلوغه — فلابد أن قد كانت لدى من يلاحظ هذا معرفةٌ سابقة بذلك الشيء الذي كان هذا الأخير أحط منه ، كما يقول ، وإن كانا متشابهين ؟

ـ يقيناً

ـ ثم أليست هذه حالنا في موضوع المتساويات والتساوي المطلق ؟

---

(١) يعني لو رأيت مثلاً صورة رجل ، فذكرتك بالرجل نفسه ، فهل تكون هذه الصورة ، وهي شبيهة الأصل ، منطبقة تماماً على أصلها ؟

(٢) معنى ذلك أن الأنسان قد شاهد في الحياة أشياء متساوية ، فعرف منها أن هناك تساوياً مجرداً ، مع أن ذلك التساوي المجرد ، لا يشبه هذه المتساويات التي شاهدها تمام الشبه ، لأن هذه كثيراً ما تتفاوت ، أما ذلك — إن وجد — فلا يجوز عليه التفاوت مطلقاً

ـ تماماً

ـ إذن فلا ريب فى أننا كنا نعرف التساوى المطلق قبل أن نرى المتساويات المادية لأول مرة ، وفكّرنا بأن كل هذه المتساويات الظاهرة ، إنما تنشد ذلك التساوى المطلق ، ولكنها تقصر من دونه ؟

ـ هذا صحيح

ـ ونحن نعلم كذلك أن التساوى المطلق لم يُعرف إلا بواسطة اللمس ، أو البصر ، أو غيرهما من الحواس التى لا تمكن معرفته بغيرها [1] وإنى لأؤكد هذا عن كل إدراك كلّى من هذا القبيل

ـ نعم ياسقراط ، فكل واحد من هذه المدركات لا يختلف عن الآخر فى شىء مما يدور حوله الحديث

ـ وإذن فمن الحواس تنبعث المعرفة ، بأن كل الأشياء المُحسَّة تنشد مثال التساوى ، ولكنها تقصر من دونه — أليس ذلك صحيحا ؟

ـ نعم

ـ إذن فقبل أن بدأنا فى النظر ، أو السمع ، أو الأدراك بأية صورة أخرى لابد أن قد كانت لدينا معرفة بالتساوى المطلق ، وإلا لما استطعنا أن ننسب اليه المتساويات التى نشتقها من الحواس ؟ ـ فهذه كلها تسعى نحو ذلك التساوى المطلق فتقصر من دونه ؟

ـ تلك ياسقراط نتيجة مؤكدة للعبارات التى سلف ذكرها

ـ ثم ألم نأخذ فى النظر والسمع واكتساب حواسنا الأخرى بمجرد أن ولدنا ؟

ـ يقيناً

ـ إذن فلابد أنا قد حصّلنا معرفة المتساوى المثالى فى زمن سابق لهذا ؟

ـ نعم

ـ أى قبل أن نولد فيما أظن ؟

ـ صحيح

ـ وإذا كنا قد حصّلنا هذه المعرفة قبل أن نولد ، وكانت لدينا عند الميلاد ، إذن فقد كنا قبل الميلاد ، وفى ساعة الميلاد نفسها نعرف كذلك ، فضلاً عن المتساوى ، والأكبر والأصغر ، سائر المُثُل جميعاً ، فنحن لا نُقصر الحديث على المتساوى المطلق ، ولكنه يتناول الجمال ، والخير ، والعدل ، والقداسة ، وكل ما نطبعه بطابع الجوهر فى مجرى الحوار ، حينما نلقى أسئلة ونجيب عن أسئلة ، أفنستطيع أن نؤكد ، أننا قد كسبنا معرفة هذه كلها قبل الميلاد ؟

ـ هذا صحيح

ـ ولكن ، إذا نحن بعد كسب المعرفة ، لم ننس ما كنا قد كسبنا ، فلا بد أنا قد ولدنا ومعنا المعرفة دائماً ، وسنظل أبداً على علم بها ، مادامت الحياة — لأن العلم هو كسب المعرفة وحفظها ، لا نسيانها . أليس النسيان ياسمياس هو فقدان المعرفة لا أكثر ولا أقل ؟

ـ جد صحيح ياسقراط

ـ أما إذا افتقدنا عند الميلاد تلك المعرفة التى حصّلناها قبل أن نولد ، ثم كشفنا فيما بعد ، بواسطة الحواس ، ما قد كنا نعلم من قبل : أفلا يكون ذلك ، وهو ما نسميه تعلّما ، عملية لكشف معرفتنا ، ثم ألا يجوز لنا بحق أن نسمى هذا تذكراً ؟

ـ جد صحيح

لأنه من الواضح ، أننا إذ ندرك شيئاً بواسطة البصر ، أو السمع ، أو أية حاسة أخرى ، لانصادف صعوبة فى أن ينشأ لدينا من هذا الشىء ، تصورٌ لشىء آخر ، يشبهه أو يباينه ، كنا قد أنسيناه ، وكان قد ارتبط بذلك الشىء ، وعلى ذلك ، فكما سبق لى القول ، يقع أحد الأمرين : إما أن هذه المعرفة كانت لدينا عند الميلاد ، وظللنا نعلمها طول الحياة ، وإما أن يكون أولئك الذين يقال عنهم إنهم يحصّلون العلم ، بعد ميلادهم ، لا يفعلون أكثر من أن يتذكروا ، فما العلم إلا تذكر وكفى

ـ نعم ياسقراط ، هذا جد صحيح

ـ فأى الأمرين تُؤثر ياسمياس ؟ أكانت المعرفة لدينا عند الميلاد ، أم أنا قد تذكرنا فيما بعد الأشياء التى كنا نعلمها قبل ميلادنا ؟

ـ لا أستطيع الحكم الآن

(يتبع)

زكى نجيب محمود

(١) لأننا أدركنا بالحواس أشياء متساوية ، فاستنتجنا وجود التساوى المطلق ، فكأننا أدركنا هذا الأخير عن طريق الحواس ، مع أنه عقلى محض . وقل مثل ذلك فى سائر المدركات الكلية ، كالجمال والخير وما اليهما ، فقد جاءتنا عن طريق الحواس أشياء جميلة : وردة ، وامرأة ، وشروق وهكذا ، فعرفنا عن طريقها فكرة الجمال المطلق